صورة الطفل في الأمثال الشعبية الأندلسية
كتاب أمثال العوام للزجالي القرطبي نموذجاً

د.أحمد سمير علي مرزوق(*)

المستخلص

تسعى هذه الدراسة المعنونة بـ (صورة الطفل في الأمثال الشعبية الأندلسية) إلى الكشف عن رؤية المجتمع الأندلسي للطفل من جوانب عدة مثل صفاته، سلوكياته، تربيته، تعليمه، وذلك من خلال الأمثال الشعبية المشهورة آنذاك سواء التي تحمل صورة إيجابية أم سلبية عن الطفل الأندلسي، كما تكشف الدراسة عن العادات والتقاليد المرتبطة بالطفل في هذا المجتمع من خلال هذه الأمثال، كما ستتوقف الدراسة أمام الأمثال التي لا يوجد لها علاقة مباشرة بالطفل لكنها تكشف عن بعض الجوانب الخفية والمترسخة في اللاوعي الجمعي تجاه الطفل الأندلسي، واعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي والاجتماعي في تناولها لصورة الطفل في المجتمع الأندلسي في القرن السابع الهجري وذلك من خلال كتاب (أمثال العوام) لأبي يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي (٦١٧– ٦٩٤هـ).

الكلمات المفتاحية

الأمثال الشعبية – الطفل الأندلسي – عبيد الله الزجالي القرطبي – أمثال العوام – القرن السابع الهجري.

* مدرس –كلية اللغات – جامعة أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب

Abstract

This study, entitled (The Image of the Child in Andalusian Popular Proverbs), seeks to reveal the Andalusian society's view of the child from several aspects, such as his characteristics, behavior, upbringing, and education, through the famous popular proverbs of the time, whether they carry a positive or negative image of the Andalusian child. The study also reveals the customs and traditions associated with the child in this society through these proverbs. The study will also stop at the proverbs that have no direct relationship to the child, but they reveal some hidden aspects that are rooted in the collective subconscious towards the Andalusian child. The study relied on the historical and social approach in dealing with them. The image of the child in Andalusian society in the seventh century AH, through the book (Proverbs of the Common People) by Abu Yahya Ubaid Allah bin Ahmed Al-Zagali Al-Qurtubi (617-694 AH).

Keywords: Popular proverbs - The Andalusian Child - Ubaid Allah Al-Zagali Al-Qurtubi - Proverbs of the Common People - the seventh century AH.

المقدمة

إن للأمثال الشعبية مكانة خاصة لدى كافة الأمم، حيث تمثل خلاصة تجاربها وحكمتها التي توارثتها عبر الأجيال، وكان من اللافت للنظر هو عدم وجود دراسة خاصة بالأمثال تسعى خلف تبين ملامح الطفل الأندلسي في القرن السابع الهجري وعلاقته بأسرته والمجتمع من حوله، لذا سعت هذه الدراسة إلى كشف اللثام عن هذا الطفل الأندلسي ورؤية المجتمع له الإيجابية منها والسلبية، كما توقفت الدراسة أمام العادات والتقاليد المرتبطة بهذا الطفل في هذا المجتمع سواء بطريقة مباشرة أم غير مباشرة وذلك في محاولة لكشف الصورة الكاملة المترسخة في ذهن المجتمع تجاه عنصر مؤثر وفعال فيه وهو الطفل.

ولقد ارتأت الدراسة أن المنهج التاريخي والاجتماعي يتناسب مع أهداف الدراسة في تناولها لصورة الطفل في المجتمع الأندلسي في القرن السابع الهجري، وذلك من خلال كتاب (أمثال العوام لأبي يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي (٦١٧ – ٦٩٤ هـ)، واستندت الدراسة على هذا الكتاب لقيمته التاريخية الكبيرة أولًا، حيث يعد كتابًا عمدة في موضوعه، كما أن مؤلفه ظهر في فترة متأخرة في التاريخ الأندلسي، بعد أن استقرت الأوضاع لفترة طويلة في

الأندلس وظهرت خصوصية المجتمع الأندلسي وتميزه عن المجتمع المشرقي بشكل جلي ثانيًا، وإن كان هذا لا ينفي حقيقة الأمر وهي أن هناك نقاطًا كثيرة يتقاطع فيها المجتمع الأندلسي مع المجتمع المشرقي منها الدين الإسلامي والاعتماد على اللغة العربية باعتبارها اللغة الأم في المجتمعين.

الدراسات السابقة

تعددت الدراسات التي تناولت الأمثال الشعبية، مثل دراسة (الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية) للدكتور عبد المجيد قطامش، حيث توقف أمام تعريف المثل وتدوينه والأطوار التاريخية للأمثال العربية منذ العصر الجاهلي وحتى العباسي، ثم انتقل إلى دراسة الأمثال دراسة لغوية وأدبية، ثم أردفها بدراسة اجتماعية لها، أما دراسة دكتورة نبيلة إبراهيم (أشكال التعبير في الأدب الشعبي) فلقد تناولت الأمثال في الفصل السادس من كتابها، من حيث تعريفها وخصائصها، ومن المفيد ذكر أن الدراسة لم تقف على أي مرجع يختص بدراسة صورة الطفل بشكل متكامل الجوانب في الأمثال الشعبية في العصور القديمة سواء في المجتمع المشرقي أو الأندلسي، وإن كان هناك بعض الدراسات التي تناولت صورة الطفل من منظور تربوي من خلال علم الاجتماع في العصر الحديث، مثل دراسة "الطفل في الأمثال الشعبية" للدكتور مُحَمَّد راشد، حيث تناول فيها الأمثال الشعبية الأردنية الخاصة بالطفل، فهدف إلى تذكير المجتمع الأردني بهذه الأمثال، وتمنى أن تتلاشى الأمثال المسيئة للطفل، وأن يُدرس الأدب الشعبي في المدارس، وأن تستبعد الأمثال المخالفة للشريعة الإسلامية، أما دراسة "صورة الطفل اليتيم في الأمثال الشعبية" للدكتورة حنان عبد الغفار، فهي خاصة بوضع الطفل اليتيم في ضوء علم الاجتماع، وذلك لتحديد نقاط القوة والضعف لديه، ولوضع البرامج الإرشادية والعلاجية له، ومن هنا تأتي أهمية دراسة صورة الطفل في الأمثال الشعبية الأندلسية حين تحاول أن تسد ثغرة في أدبنا الشعبي الخاص بالطفل في المجتمع الأندلسي.

الأمثال الشعبية

تدخل الأمثال الشعبية ضمن الآداب الشفاهية الآخرى المنضوية تحت عباءة الأدب الشعبي، والحقيقة أن الأدب الشعبي بصفة عامة لا يكف عن التطور لأنه معبر عن الحياة

الدائمة التطور، اعتبره الفارابي(ت٣٣٩هـ) بأنه " ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرجوا به عن الكرب والكربة، وهو أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة، أو غير مبالغ في مدى بلوغ المدى في النفاسة "[١]، فهنا يشير الفارابي إلى تداول المثل بين طبقات الناس جميعها، يتناقلونه بينهم في جميع أحوالهم لأنه معبر عن تجاربهم السعيدة والتعيسة على السواء في الحياة.

أما الزمخشري(ت٥٣٨هـ) فقد عرفه بأنه " بمعنى المِثل كالشَّبَه والشِّبْه، ونظيريهما البَدَل والبِدل، والنَّكَل والنِّكْل، للشجاع الذي ينكل بأعدائه، ثم سميت هذه الجملة من القول المقتضبة من وُصُلها، أو المرسلة بذاتها المتسمة بالقبول، المشهورة بالتداول مثلًا، لأن المحاضر بها يجعل موردها مثلًا ونظيرًا لمضربها"[٢]، ويركز الزمخشري على قضية القبول الجمعي للأمثال، وكيف أنها تعبر عن وجهة نظر المجتمع في قضية من القضايا، وأن لهذه الأمثال موردًا متعارفًا عليه بين الناس وحين تقترب تجربتهم منها يستخدمونها كدليل على صحة اختيارهم ورأيهم.

ولم يختلف تعريف المثل كثيرًا في العصر الحديث، فيقول أحمد أمين إن " المثل لا يستدعي إحاطة بالعالم وشؤونه، ولا يتطلب خيالًا واسعًا ولا بحثًا عميقًا، إنما يتطلب تجربة محلية في شأن من شؤون الحياة"[٣] بينما عرفه الدكتور قطامش في مقولة مختصرة هي أن "المثل قول موجز سائر، صائب المعنى، تشبه به حالة حادثة بحالة سالفة" [٤].

ويمكن الخروج من هذه التعريفات مجتمعة بعدة خصائص للمثل، وهي أن الأمثال لها قيمتها وحضورها اليومي بين الناس، حيث تعد أكثر النصوص الشفاهية شيوعًا وانتشارًا، فهي موجزة توفر على المتكلم الجهد في التفكير والصياغة لأنها تستدعي التاريخ بما يحمله من صور خاصة بموضوع الحديث، فتحقق مبدأ الاقتصاد اللغوي مع إصابة المعنى، والأمثال كذلك قوية التأثير لقيمتها الحجاجية على اعتبار أنها دليل خارجي على صحة كلام المتحدث، وهي أيضًا واضحة المعنى، حيث تلخص الموقف كله وتوجه المتلقين للإيمان بفكر معين أو القيام بدور محدد، فالمثل هو فعل خطابي تواصلي يقوم بمهمة توصيل رسالة من المتحدث إلى المتلقي، فهو" قول قصير

مشبع بالذكاء والحكمة، ولسنا نبالغ إذا قلنا إن كل مثل يصلح أن يكون موضوعًا لعمل أدبي كبير، إذا استطاع الكاتب أن يتخذ من المثل بداية لعمله فيعيش تجربة المثل، ويعبر عنها تعبيرًا تحليليًا دقيقًا" (٥).

إن المتأمل في الأمثال الشعبية يجدها معبرة عن تجاربنا الحياتية المتنوعة، والتي تتوافق حينًا مع البعض وتتعارض أحيانًا مع البعض الآخر، ومن هنا يمكننا فهم التعارض الذي يوجد بين بعض الأمثال، فمثل "اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب " (٦) يقف على طرف نقيض من المثل القائل "القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود"(٧)، فالمثل الأول يدعو إلى الإسراف والبذخ، بينما يعبر المثل الثاني عن قيمة الادخار، ومن خصائص المثل أيضًا أنه يستخدم الألفاظ " استخدامًا فنيًا يبتعد عن كل تحديد لغوي، وفي وسع هذه الألفاظ أن تربط بين الأفكار ربطًا قويًا متماسكًا، ومن الكلمة وفن الكلمة نصل إلى التركيب، والمثل لا يعرف التركيب الموحد الذي يعرض الفكرة عرضًا مسلسلًا، وإنما يقدم المثل لقطات متنوعة من التجربة. ومن خلال هذه اللقطات المتنوعة يبرز المعنى" (٨) فكل مثلٍ هو نتاج تجربة مفردة متفردة في ذاتها، ويدل على التنوع والاختلاف بين البشر في علاقتهم بالكون وما يحدث فيه، وعلاقة البشر ببعضهم البعض في آن، فالمثل هو جزء لا يتجزأ من التراث الذي " يعد شكلًا من أشكال المخزون الثقافي الذي يتناقل عبر الأجيال وله القدرة على الصمود أمام الزمن" (٩)، وسواء اتفقنا مع مضمون المثل أم اختلفنا معه، فإنه يبقى إرثًا أدبيًا تراثيًا له جذوره الضاربة في عمق التاريخ كما أن له امتدادًا وتأثيرًا في حاضرنا ومستقبلنا، لأنه جزء من نسقنا الثقافي والمعرفي.

الطفل في المجتمع العربي

حظى الطفل في العالم العربي منذ القدم بالاهتمام من قبل المفكرين والعامة من الناس، الذين انشغلوا بمحاولة تهذيبه وتعليمه بل وعقابه أيضًا باعتباره مستقبل هذه الأمة، فألَّف المفكرون والعلماء العديد من الكتب في محاولة الوصول لأفضل طريقة في تربية الطفل، فيقول ابن مسكويه (٤٢١هـ) إن " الصبي في ابتداء نشوئه يكون على الأكثر قبيح الأفعال، إما كلها وإما أكثرها، فإنه يكون كذوبًا ويخبر ويحكي ما لم يسمعه ولم يره، ويكون حسودًا سروقًا نمامًا لجوجًا

ذا فضول أضر شيء بنفسه وبكل أمر يلابسه ثم لا يزال به التأديب والسنن والتجارب حتى ينتقل في أحوال بعد أحوال، فلذلك ينبغي أن يؤاخذ ما دام طفلا " [١٠]، فيسبق ابن مسكويه علماء نفس الأطفال بتناول صفات الأطفال السيئة وعما يجب أن يُفعل مع الطفل ليصبح عضوًا نافعًا في المستقبل.

وكان من رأي ابن سينا (٤٢٧هـ) أن الطفل يجب أن يُبدأ بتعليمه قبل أن يكتسب الصفات السيئة من الأساس، فيقول " إذا فُطم الصبي عن الرضاع بُدئ بتأديبه ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة وتفاجئه الشيم الذميمة، فإن الصبي تتبادر إليه مساوئ الأخلاق وتنثال عليه الضرائب الخبيثة فما تمكن منه من ذلك غلب عليه فلم يستطع له مفارقة ولا عنه نزوعًا" [١١]، كما تطرق ابن خلدون (٨٠٨هـ) للعلاقة بين التأديب القاسي للطفل وسوء الملكة، فيقول إن " إرهاف الحدّ بالتّعليم مضرّ بالمتعلّم سيّما في أصاغر الولد لأنّه من سوء الملكة. ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلّمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيّق عن النّفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التّظاهر بغير ما في ضميره خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلّمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقًا وفسدت معاني الإنسانيّة الّتي له من حيث الاجتماع والتّمرّن"[١٢]، فهو هنا يقف على أهمية التوازن في العقاب حتى لا يؤدي ذلك إلى نتيجة عكسية مع الطفل، فالقسوة تضطره إلى أن يتصف بسلوكيات سيئة تؤثر عليه وعلى من حوله، وهكذا حاول المفكرون اتباع الطرق المختلفة لتهذيب الطفل وتعليمه.

بينما كان للعامة طريقة أخرى لتهذيب الطفل وتحسين سلوكياته من خلال الأدب الشعبي، حيث كانت الأمثال الشعبية العربية المعنية بالطفل كثيرة، لأنها تناولت صورة الطفل العربي من عدة جوانب، ولا شك أن هناك تشابهًا كبيرًا بين الأمثال المشرقية والأمثال الأندلسية، حيث كان هناك شبه وحدة في الأمثال العامية في البلدان العربية القديمة، بيد أن هذا لا ينفي خصوصية الأمثال الأندلسية والتي تتضح على مستويين، المستوى الأول مستوى اللفظ حيث استخدم الأندلسيون ألفاظًا خاصة بهم وببيئتهم، حيث امتزاج اللغات العربية والأمازيغية

واللاتينية أدى لظهور ألفاظ جديدة غير موجودة في اللغة العربية القحة[١٣]، أما المستوى الثاني فهو مستوى المضمون وذلك لأن الأندلسيين انفردوا بمضامين أمثال شعبية لا يوجد لها نظير في المشرق العربي، كما أن هناك عدة أمثال في المشرق لم يكن لها وجود في الأندلس، كما ستتناول الدراسة.

ومن المفيد الإشارة إلى أن الزجالي لم يصنف الأمثال في كتابه بحسب الموضوعات بل رتبها تبعًا لترتيب حروف المعجم وإن كان لم يلتزم به التزامًا صارمًا، حيث أتت بعض الحروف متقدمة ومكانها التأخر وبعض الحروف متأخرة ومكانها التقدم، لذا كانت الأمثال المتعلقة بالطفل متناثرة في ثنايا الكتاب من أوله إلى آخره، وتجاوزت عدد الأمثال الخاصة بالطفل الخمسين مثلًا، في حين أن مجموع عدد الأمثال في الكتاب ألفان ومئة وسبعة وخمسون مثلًا، ولقد توقفت الدراسة عند تناول المحقق للأمثال الخاصة بالطفل فوافقته أحيانًا وخالفته الرأي أحيانًا أخرى دون أن تنكر أو تقلل من جهده الكبير في تحقيق هذا الكتاب القيم في الأدب العربي، وستشير الدراسة إلى هذه الاختلافات ومبررها في موضعها من البحث، ولم تجد الدراسة حرجًا في ذكر بعض الأمثال التي يوجد بها فُحش في اللفظ أو المضمون لأنها كانت موجودة بالفعل في الواقع الأندلسي وتصور جانبًا من جوانب رؤية المجتمع للطفل الأندلسي.

١-أمثال شعبية ذات علاقة مباشرة بالطفل

١-١أهمية الإنجاب

أدرك الإنسان منذ قديم الزمن أن الأبناء هم الامتداد له في هذه الدنيا، حيث يحملون اسمه حتى بعد وفاته، ولقد ذكر الله تعالى نعمة الأبناء في محكم آياته في قوله: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا}[١٤]، وقوله كذلك {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [١٥]، فالأولاد هم زينة الدنيا وهم قرة العين لذا شجعت الأمثال الشعبية الأندلسية على إنجاب الأطفال، ويأتي المثل الشعبي ليصور قيمة الطفل في حياة الإنسان "لا وَلَدْ ولا تَلَدْ، ولا من يدور في البلد" [١٦]، فالإنسان الذي ليس له ذرية وفقير فيعش غريبًا في وطنه على الرغم من أنه يعيش فيه.

وتأتي ضرورة وجود أبناء أيضًا ليحافظوا على الثروة بعد وفاة الأب، فإذا مات الابن في حياة أبيه ضاعت الثروة لأن الربيب سيرثها، ولقد جاء المثل " مَنْ مَاتْ وَلَدُ، رَبِيبْ يجِيه للَّيل" [١٧] فالربيب هو ابن الزوجة من زوج سابق وهو غريب عن الزوج الحالي للأم، هذا الربيب سيتمتع بميراث هذا الزوج لأنه يعيش مع أمه، وربما يحمل هذا المثل في طياته ضرورة إنجاب أكثر من ابن حتى تقل احتمالات ضياع الثروة عند وفاة أحد الأبناء.

وربما كان للسياق الاجتماعي والسياسي في الأندلس تأثير مباشر على شيوع زيادة الإنجاب لدى الأندلسيين، حيث مستنقع الحروب الذي لا ينتهي، فمن جانب لا تتوقف الحروب بين المسلمين من جهة والنصارى من جهة ثانية، ومن جانب آخر الحروب التي قامت بسبب الفتن الداخلية والصراعات الدموية على الحكم، كل هذا ألقى في نفس الأندلسي أن يزيد من عدد أبنائه ليضمن امتداد نسله من بعده.

٢ -١ حسن اختيار الآباء

وإذا كان الزواج وتكوين أسرة بها أبناء ضرورة على مستوى الفرد والمجتمع، كان حسن اختيار شريك الحياة من أهم النقاط التي ركزت عليها الأمثال الشعبية، ومن ضمن هذه الأمثال " العِرقْ دَسَّاسْ"[١٨] فهنا يوجه هذا المثل من يقبلون على الزواج أن يحسنوا اختيار شريك الحياة لأن صفات الأبوين الخِلْقِية والخُلُقية تنتقل إلى الطفل، وتصبح جزءًا من شخصيته بعد ذلك، لذا كان من الضروري التأني الشديد في اختيار الشريك لأنه لن يؤثر على شريكه فقط بل سيمتد هذا التأثير إلى الأبناء والأحفاد بعد ذلك، ولقد أثبت علم الوراثة الحديث صحة هذا المثل، حين أثبت أن الجينات تحمل عوامل وراثية مسئولة عن الصفات التي تظهر عند الإنسان.

٣-١الاهتمام بالطفل قبل ولادته

اهتم المجتمع الأندلسي بالطفل من قبل أن يولد، فجاءت الأمثال الأندلسية لتوجه نصائح للأسرة وللأم في مرحلة الحمل، فـ " الحُبْلى ما تَلَعبْ الرَّكل" [١٩] فكثرة الحركة العنيفة (الركل) للأم الحامل قد يتسبب لها أو لجنينها بضرر بالغ، لذا جاء المثل ليحذر – من خلال الأداة

النافية (ما)– من هذه الحركات غير الملائمة للأم، وإن كان المسكوت عنه أنه يُسمح للمرأة باللعب قبل الحمل أو بعد الولادة.

ولقد ربط الأندلسيون بين العلاقة الجنسية بين الزوجين وبين إنجاب التوءم من الأطفال، فكلما زادت العلاقة الجنسية كلما زادت الاحتمالية لإنجاب التوءم كما في " زِدْ للحُبْلِ نيكْ تجيكْ بالتَوءمْ" [٢٠]، وهذا يكشف التصور البدائي عن سبب إنجاب التوءم والذي يبتعد كل البعد عن السبب الطبي الحقيقي الذي عُرف في العصر الحديث.

٤-١الصفات الخلقية للطفل

انشغل الأندلسيون بصورة الطفل الخِلْقِية، وحاولوا اكتشاف العلاقة بين هيئة الطفل الجسدية وبين أبويه، وتوصلوا إلى أن الصفات الوراثية تنتقل إلى الأبناء بالفعل من الآباء من خلال الملاحظة بالعين المجردة وتبدى هذا الانشغال في الأمثال الشعبية، مثل " القَرْضْ مِنْ العَرْض، والزَّرِيعَ وحْدَ" [٢١]، فالزريع هو الأب وهنا استعارة تصريحية تدل على ارتباط الأولاد بالزرع، وتكون الأم هي الأرض الخصبة التي تنتج الزرع الذي وضعه الزريع فيها، ومناسبة هذا المثل حين يتشابه شكل الأبناء مع الوالدين بصورة كبيرة.

ولكن أحيانًا تحدث طفرات وراثية، فيكون الولد جميل المحيا ووالداه لا يتمتعان بالوسامة أو الجمال، وهنا يأتي المثل " أبْ زِفْت، وأمْ لفْت، وابن طَاب عجِين"[٢٢] ليعبر عن هذا الاختلاف، فالأب قبيح الوجه أسوده وهو أشبه بمادة (الزفت) وهذا التشبيه يوضح شدة قبح الأب، أما الأم فتتشابه صورتها مع صورة نبات (اللفت) الذي لا يتسم بالجمال في مظهره أما طعمه فلا يكون مستساغًا بمفرده، وهذه أيضا صورة توضح عدم جمال هذه الأم، ولكن الولد يكون مثل العجين الأبيض ويكون طعمه جميلًا لأنه قد طاب وأصبح من المخبوزات الشهية التي يتلذذ بها الناس، وهذه الصورة البيانية توضح جمال الابن عكس والديه، ولقد خالفت

الدراسة المحقق في تفسيره لهذا المثل حيث "يقال في متابعة الأولاد للآباء"[٢٣] وهذا ينافي منطوق المثل كما أوضحت الدراسة.

٥-١الصفات الخُلقية

هناك العديد من الأمثال الشعبية في الأندلس التي تُظهر الصفات الخُلقية للأطفال وسلوكياتهم، وهذا يشي بمدى إدراك ووعي أهل الأندلس بخصوصية الطفل وخصاله، ومن هذه الصفات التلقائية الشديدة التي يتحدث بها الأطفال والتي يمكن أن تتسبب بوقوع المشكلات، فـ " لِسْ يُقولْ الحَّق إلا صَبِي أو أَحْمَق"[٢٤] فالأطفال لا تتحرج في ذكر الحقيقة دون مواربة، ويتشارك الأطفال والحمقى في هذه الصفة، وإن كان الأطفال يقولون الحقيقة مباشرة دون تجميل لعدم إدراكهم خطورة أو تبعات ما سيقولونه لصغر سنهم، أما الحمقى فهم يقومون بالفعل ذاته ولكن بسبب صغر أفقهم.

وكما يتصف الأطفال بتلقائية الكلام فإنهم يتصفون أيضًا بسرعة الخروج عن النظام عندما تسنح لهم فرصة، فيقول المثل الأندلسي" كَثِيرْ مَا يَقُولُ الصبْيانْ: إذا غابَ المُعَلِمْ"[٢٥]، وهنا الخطاب الناقص/الضمني يتم طرح فيه وقائع غير كاملة، وتُعطي الفرصة للمتلقي باستغلال آلة الاستدلال لفهم وتأويل الخطاب، فجملة جواب الشرط في المثل غير موجودة بيد أن المتلقي يستطيع أن يؤول الخطاب، فالمعلم هو السلطة المركزية وهو الذي يقود النظام، وعندما يغيب المعلم يختفي النظام، فيقوم الصبيان بعمل أفعال تخل بالنظام المعمول به أثناء وجود المعلم/ السلطة، فهم ينتهزون الفرصة ليتخففوا من ثقل النظام عليهم وليخرجوا طاقاتهم المكبوتة وعمل ما بدا لهم أنه صحيح.

أدرك القدماء أن اللعب ضروري لبناء شخصية الطفل، وأن الاستغراق في اللعب هو سلوك فطري ناتج عن حب الطفل التعرف على ذاته أو على عالمه الخرجي من حوله، حيث يسهم اللعب في تنمية مدارك الطفل الاجتماعية، كما ينمي قدراته العقلية والذهنية، ويخرج كذلك الطاقة الكامنة داخله، حيث يبني الطفل من خلال اللعب عالمه الخاص ليعيش فيه أحلامه

وينفصل عن أرض الواقع، فالطفل يلعب وينشغل باللعب في أي مكان، ورأى ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦) أن هناك ضرورة لإفساح المجال للطفل لكي يلعب حتى لو لعب في المسجد، بقوله " وَاللعبُ والزَّفْنُ مباحان في المسجد" [٢٦]، لذا شبه المجتمع الأندلسي حال الإنسان المستغرق في تفكيره ولا ينتبه لما يحدث حوله بحال الأطفال الصغار وهم يلعبون ومستغرقون في اللعب بقولهم "بحَلْ حال الصغير فالطرف"[٢٧]، فالطرف هو اللعبة التي يتلهى بها الطفل الصغير عما حوله.

وربما كانت تصرفات الصبيان وألعابهم لا تعجب البعض بسبب خروجهم عن النظام المجتمعي وتسببهم في العديد من المشاكل والتوترات بين أفراد المجتمع، لذا قالوا " ابدَل القَرد بوَلَد" [٢٨]، فالمفترض أن يستبدل السيِّئ بالأفضل، ولكن المبدع الشعبي استبدل السيئ بالأسوء، فالأولاد/الصبيان هم أسوأ من القرود في حركتهم المستمرة وفي تنازعهم مع بعضهم البعض أو مع غيرهم وفي هذا نوع من المبالغة، وإن كانت هذه المبالغة تقوم بكشف مدى السلوكيات الخاطئة للأولاد في ذلك الوقت، وتسهل علينا كذلك رؤية وتصور المجتمع لهذه المشكلة، فالمثل ينقل لنا صورة سلبية عن الأولاد الذين لا يكفون عن إثارة المشاكل والبغضاء، والملاحظ أن المبدع الشعبي/الناس قام بالتركيز على فئة الأولاد واستثنى البنات نظرًا لما يتمتعن به من رقة في المشاعر ورهافة في الحس يمنعهن من ارتكاب هذه التصرفات السيئة.

وكشف لنا مثل " غِنَى الفتْيَانْ: عَشَرة يقْفَزُ، ووَاحِدْ يَسْتَمع "[٢٩] عن سلوكيات الصبيان والفتية في ذلك الوقت، فهم يتحدثون معًا في الوقت ذاته ولا يستمع أحد منهم للآخر، وكل منهم يريد أن يقنع الآخر بوجهة نظره، فعشرة يتحدثون وواحد فقط هو الهادئ الذي يستمع إلى هذه الضوضاء ولا يشارك في هذا العبث، الذي يؤدي في النهاية إلى صعوبة التواصل فيما بينهم.

ولكن ليس كل تصرفات الصبية مزعجة، فليس هناك "أوحشْ مِن نفير الصبيانْ، فِي شهر شعبانْ"[٣٠]، وفي هذا المثل جاءت كلمة أوحش من وَحْشَة لتدل على شعور الناس بالافتقاد لهذا النفير الذي يصدره الصبية في شهر شعبان أي قبل حلول شهر رمضان احتفالا بقدومه،

وكان النفير معتادًا عليه في وقت السحور في رمضان في الأندلس في ذلك الوقت لينبه الناس قبل أذان الفجر، ولقد كان للدكتور المحقق رأيان في هذا المثل، الأول هو أن الأطفال يشترون النفير كلعبة في شهر شعبان فيملؤون الدنيا بها ضجيجًا وصداعًا على حد قوله، والرأي الثاني ما ينذر به النفير من قرب حلول شهر رمضان، وإن كانت الدراسة تميل إلى الرأي الثاني مع استكمال ما به نقص في المعنى كما أوضحت الدراسة.

جاء مَثَلُ " عُذْر بِنْت الفَرَّان، لشْ ما تبْكِي على أمكْ؟ قالتْ: الدَّار ضَيق" [٣١] ليستعرض لنا تصرفات بعض الفتيات اللائي يُجبن على الأسئلة بإجابات غير منطقية أحيانًا، وربما يعود ذلك لعدم وجود جواب لهذا السؤال عندهن، أو لعدم الإدراك الصحيح للسؤال، أو بسبب رغبتهن في كتمان الإجابة فلا يردنَّ الإفصاح عنها، فيتم إعطاء إجابة لا تمت بصلة للسؤال، وربما كان اختيار البنت وليس الولد تعبيرًا يحمل في طياته صورة عن الحياء الذي يعتري الفتاة عند سؤالها عن شيء لا تعرف إجابته أو لأنها لا تريد أن تفصح عن الإجابة الصحيحة لغرض ما في نفسها، فتقول كلامًا لا علاقة له بالسؤال، فهنا في هذا المثل الفتاة لا تبكي على أمها، وعندما سُئلت عن السبب قالت بسبب صغر حجم الدار!! وهذه إجابة غير مرتبطة بالسؤال ولا يوجد أي رابط بينهما يمكن أن يُلاحظ أو يُبنى عليه فكرة ما، حيث لا علاقة بين البكاء وبين صغر حجم الدار، ولقد أشار المحقق لوجود مثل آخر يدور حول الفكرة ذاتها، يتمحور حول الفتيات والسيدات فقط فهي صفة سلبية خاصة بهن، وكأنما أدرك المبدع الشعبي الاختلافات في الصفات والسلوكيات بين التي ينتهجها الولد وتنتهجها البنت.

ولقد تمتع كتاب الزجالي بوفرة وتنوع في الأمثال الشعبية التي جمعها بيد أن الدراسة لم تجد مثلًا واحدًا يتم تفضيل الولد فيه على البنت كما في بعض الأمثال المشرقية، مثل "البنات مربطهم خالي"[٣٢]، و"بنت الدار عُورَة"[٣٣]، و"البنت بتجيب العار وكلب العرعار لجوا الدار"[٣٤]، وكذلك مثل "ما أحلى قرصتهم لو ماتوا بساعتهم"[٣٥] وذلك في إشارة لتمني موت الفتاة عند ولادتها تشاؤمًا منها وتفضيلا للولد عليها، وربما يعود غياب النظير لهذه الأمثال في كتابه إلى جو التسامح والمساواة المنتشر إلى حد كبير في الأندلس.

وكما استطاع الأندلسيون تتبع خصال الطفل في الأمثال، فإنهم استخدموا الأمثال أيضًا في تمييز بعض الصغار الذين يتصفون بملامح النجابة والنبوغ وبين غيرهم من الأطفال الذين يتمتعون بقدرات عادية، فـ " الفُلوس الجَيِد، في البَيضَ يُصرُخ"[٣٦] والفُلُوس في لهجة أهل الأندلس معناه فرخ الدجاج، فيصبح الفُلُوس هو المعادل الموضوعي للطفل، ويكون الصراخ داخل البيضة كناية عن النجابة والذكاء، حيث تتضح هذه النجابة من سرعة بديهة الطفل أو تصرفاته مع الآخرين أو من سرعة تعلمه.

وكان مثل "غُلاَم إسْكَنْدَرانِي، يَعْمَلْ ما يُقَالُّ ومَا يُقَلُّ" [٣٧] به إشارة على وجود بعض الأطفال التي تجيد التصرف ولا تحتاج إلى من يوجهها باستمرار، فهي تنفذ ما تؤمر به وما لم تؤمر به أيضًا، وإن كان من المثير للاهتمام هو ربط هذه الصفة بالغلام الإسكندراني، وكأن المكان له تأثير قوي على ذهن الأندلسي حيث ربط بين إجادة الأطفال للتصرف وحبهم للعمل وبين موطنهم الأصلي وهو الإسكندرية، وهذا يدل أيضًا على كثرة هجرة المصريين من الإسكندرية خاصة واستقرارهم في الأندلس ومعهم أطفالهم الذين لاحظ أهل الاندلس تميزهم فصاروا يضربون المثل بهم.

٦-١التربية والتعليم

كانت تربية الأبناء دائمًا الهاجس الأكبر لدى الآباء على مر العصور، فـ "الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُود الخير وعُلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب. وإن عُود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيّم عليه والوالي له"[٣٨]، لذا فقد حفلت الكتب التراثية الأندلسية بموضوعات عدة تتناول أهمية تربية الطفل على سنن الاستقامة حتى تتكون لديه مبادئ راسخة عن قيمة الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة، كما نصحت هذه الكتب الآباء المنشغلين بالعمل في معظم الأوقات بأن يخصصوا وقتًا للعب مع أطفالهم وتعليمهم من خلال اللعب القيم وإبعادهم عما يفسدهم، وهذا اللعب يؤدى إلى شدة تعلق الأبناء بالوالدين " وانظر ذلك في

الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائمًا، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم" [٣٩]، [٣٩]، لذلك عُرف في الأندلس عدة أمثال تتحدث عن أهمية التربية للأطفال فـ "منْ رَبَّا صَغيرُ مَا يَنْدَم" [٤٠]، لأنه بالتربية السليمة سينشأ الولد صالحًا بعيدًا عن الانحراف وطرق السوء، فيفيد نفسه وينفع والديه وأسرته ومجتمعه ككل، ويقترب هذا المثل كثيرًا مما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال"إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له" [٤١]، فمن تعب في تربية ابنه ارتاح في حياته وخفف عنه ذنوبه بعد مماته بسبب دعائه المستمر لأبيه.

ولقد أظهرت الأمثال الشعبية لنا طرقًا للتربية في الأندلس كانت معروفة في عصر الزجالي وما قبله، فالطفل يحتاج إلى أساليب للإقناع بجانب العقاب عندما يرتكب خطأ، فيأتي مَثل "أُمَّ تجمعهم بِطنبورْ، وتِفرَّقهُم بسَوط" [٤٢] ليعبر عن الطرق التي تلجأ إليها الأم لمكافأة أولادها أو لعقابهم، وكان الارتكاز على الأم هو الأساس في المثل لأنها هي المربي والمعلم الأول للطفل، وكذلك لأنها أكثر من يلازم الطفل الصغير، والطنبور آلة موسيقية وترية شعبية معروفة في الأندلس، تعزف عليها الأم حين تريد أن تجمع أطفالها لتفرحهم وتدخل السرور إلى قلوبهم، فيتجمع الأطفال بسرعة وهذا دليل على السلوك العاطفي للأطفال الذين ربما يهتفون ويغنون مع صوت الموسيقى التي تعزفها الأم، وبالمنطق العاطفي ذاته فإنهم يتفرقون خوفًا وجبنًا من وقع السوط – الذي يعد أداة عقاب قاسية – بسبب الأخطاء التي ارتكبوها وأثارت غضب الأم عليهم، وربما يُعد هذا المثل ردًا على بعض الآراء التي همشت دور المرأة الأندلسية في التربية الخُلقية، حيث " دور الأم في ذلك –يقصد التربية الخلقية– مغيب من طرف المصادر التي ركزت على الأب نظرًا لطغيان البنية الهرمية للمجتمع الأندلسي وتصدر الرجل مكانة ونفوذًا في الأسرة، انعكست على توجيه سلوك الطفل إلى قيم اجتماعية وفق نظرة أبوية"[٤٣]، فلا يمكن إنكار دور الأم في تربية الأبناء بناءً على مجموعة من الكتب أو المصادر التي تدعي ذلك بل علينا أن نرى وندقق فيما عكسه لنا الأدب الشعبي – والأمثال جزء من هذا الأدب– من

عادات وتقاليد وأعراف ومعتقدات اجتماعية والتي تُعتبر صورًا ومظاهر جزئية صدرت عن وحدة النسق الكلي للبناء الثقافي المتكامل نظمًا وغاية.

وكما اتضح للدراسة حث المجتمع على حسن تربية الأبناء من خلال الأمثال، فإن هذه الأمثال عبرت كذلك عن بر الوالدين، فلابد على الابن أن يحسن إلى والديه، فيأتي المثل "تَنْزَعْ من فمه، وتعْطِي لَمَّه"(٤٤) ليعطي دليلًا على ضرورة إيثار الوالدين من قِبل الأبناء، حيث يأتي فعل النزع ليدل على شدة احتياج الابن لهذا الطعام/ الرزق، ويكون القرب من الفم دليل على اقتراب هذا الطعام /الرزق منه، ولكنه لا يتوانى عن إعطائه لأمه بطيب خاطر، فيكون المثل سجلًا حقيقًا على بر الوالدين مصدقًا لقول الله تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾(٤٥).

وأُعتبرت الإساءة إلى الوالدين غير المباشرة من النقائص التي يجب على الفرد أن يتبرأ منها ويتوب إلى الله لعله يغفر له، وتتشكل هذه النقيصة عندما يُسب شخص ما شخصًا آخر ويتعرض في هذا السب إلى الآباء والأمهات، فيضطر الشخص الآخر للدفاع عن نفسه فيسب الوالدين بأبشع الألفاظ، لذا" عندَ شَتْم الوالِدَيْن، تحَمر الخَدَّيْن"(٤٦)، حيث يأتي احمرار الخدين كناية عن شدة التحرج والأسف لما يقال في حق الوالدين من عقوق، ولقد اعتبر هذا الفعل في الإسلام من الكبائر، وذلك حين ذكر عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من الكبائر شَتْمُ الرجل والديه «قيل: وهل يسبّ الرجل والديه؟ قال: نعم، يسبّ أبا الرجل فيسبّ أباه، ويسبّ أمّه، فيسبّ أمّه" (٤٧).

٧-١ علاقة الأسرة بالطفل

مرت الأندلس بظروف اقتصادية صعبة للغاية بداية من القرن الخامس الهجري جراء اشتداد هجمات النصارى على مدن المسلمين، فاضطر الكثير من أهل الأندلس إلى النزوح من مدنهم وقراهم إلى المدن التي يسيطر عليها المسلمون، فأصبحوا لاجئين بعدما فقدوا كل ما يملكون، ولم تكتف السلطة بما يعانيه العامة من شظف العيش فأثقلت كاهلهم بالضرائب الباهظة

والغرامات القاسية، وظهر المنتفعون من هذا الوضع المزري وأطلق عليهم مستغرقي الذمة، حيث استغلوا سلطتهم للوصول إلى جيوب فقراء الناس(٤٨).

وإذا كانت الأمثال تعبر بصدق عن المجتمع وما يدور فيه من أحداث، لذلك كان من الطبيعي أن تعبر الأمثال عن هذا الوضع المأساوي والذي تعيش فيه معظم الأسر، فـ "مَنْ قَرَعُوه المَصَائِبْ، أصْبَاحُ أَوْلاَدُ للجُوعْ"(٤٩) فرب الأسرة يعاني من كثرة المصائب حتى أصيب بالقرع من كثرة شده لشعر رأسه كناية عن العجز وعدم المقدرة على إعالة أسرته وإطعام أطفاله الذين يشعرون بالجوع ولا يجدون ما يسدون به رمقهم، وفي السياق ذاته نجد السرقسطي في لزومياته يوضح هذه الصورة القاتمة عندما جاء على لسان أحد المتسولين وهو يخاطب الأغنياء " ألسْتُم تَرَون الحَاجَة والفَاقَة؟...ألم تَتَبَينُوا العُرْيَ والضَّرَرَ؟ تلبسُون الثياب، وتَشُدُّونَ العِيَابَ، وتَدَّخِرُون فُضُول الأقوات، وتتمتعون بِنَغَمِ اللحُونِ والأصوات، ولا تُدْرُونَ بَغَرِيب يقاسي نغمة القِرقِس والذُّباب، ويَتَقِّي حمَّة العَقْرَبِ والحُبَاب، ويأْوي إلى بَيْتٍ أَضْيَقَ مِنْ سم الخِيَاط، وقَوْلٍ أَوْجَعَ من أَلِيم السيَاط، لَمْ يُقْدَحْ فِيه بِزِنادٍ، ولا خَلا مِنْ عَوِيل أو عِنَادٍ، فَلَيْلتُهُ دَعْجَاءُ، وَرَبَّتْهُ هَوْجَاءُ"(٥٠)، فضيق الحياة كان شديدًا على الأسر وألقي هذا كله بظلاله على الطفل الأندلسي الذي عانى من الجوع والعوز.

وعلى وقع هذه الأزمة الخانقة يأتي التمسك بالأمل دائمًا لأن الأمر كله بيد الله وأن هذه الأزمة مصيرها إلى الانتهاء، حيث " مَنْ خَرَقَ الأشدَاقْ، يَأتِي بِالأرْزَاق"(٥١)، فالله لن يتركهم في هذا الوضع المادي الصعب فوجب التسليم والاعتماد على الله في جلب الرزق، وتأتي كلمة (خرق الأشداق) لتدل على الفم وهو العضو المسئول عن هضم الطعام، ويتناص هذا المثل مع قول الله سبحانه وتعالى " وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا"(٥٢)، فالرزاق هو الله وهو أرحم الراحمين.

ولقد تكاسل بعض الآباء عن العمل، وامتزج الفقر بالبخل، وقلة الإنفاق على الصغار بل وصل الأمر إلى أن البعض جعل صغاره يعملون وهو جالس في المنزل لا يعمل، ومن هنا " الفرخ يَزُق لوِلدُ"(٥٣)، فالفرخ هنا هو الطفل الصغير هو الذي يتحمل المسئولية و(يزق) أي

يُطعم والده، ولقد وصف ابن بسام هذا الوضع المزري للطفل من إهمال وعدم مراعاة صغر السن وإجباره على العمل بقوله " ولا ظفرت ببعل مثرٍ ولا ذرية نبيهة، عهدي ببعلها الشيخ مطرف ناجل هؤلاء الصبيان من بنيها قرنبي حُزُّقَة، أحد سماسرة البُّر بقرطبة، يروح بها يومه الأطول كميش الإزار، أعظم أفراخه ظفره بقوت يومه. وكان مع ذلك كثيرًا ما ينتاب الحانات على قِلَّه وقماءة حاله، فيروح نشوان العشيات يمسح الأرض بأسماله، وكان له تقدم في ضرب القرقرة، محكمًا لأفانين إيقاعها"[٥٤]، فالأب لا يكتفي بأن يجعل أبناءه يعملون بل ينفق هذه الأموال المجتباة من صغاره على المحرمات وفي الحانات وفي تدخين النرجيلة.

وعندما يعمل هؤلاء الأطفال فإنهم يتعرضون لشتى أشكال التنكيل دون أي رحمة، فيأتي مثل "أضَّارَبُ الفلالس، وصَحب الدَّار جالس"[٥٥]، ليظهر لنا مدى المعاناة التي يعيشها هؤلاء الأطفال الصغار في العمل من ضرب وإهانة ووالدهم يجلس في البيت منتظر النقود التي يتحصلون عليها دون أن يعمل، واختار المبدع الشعبي لفظ الفلالس ليظهر كم كان الأطفال صغارًا جدًا على هذه الحياة الشاقة، وتختلف الدراسة مع المحقق في مناسبة هذا المثل، حيث اعتقد أنه " يقال في الصغار لا يوقرون مجالس الكبار"[٥٦]، وهو اعتقاد جانبه الصواب بصورة كبيرة.

وكما صورت الأمثال الشعبية حياة بعض الأطفال الشاقة، فإنها كذلك لقد صورت علاقة الأب بابنته منذ الصغر، فـ "إذا قالت البنْت دَدَّ، فكِّر لها في مخدَّ، وإن رَفَعت القدّح لفمها، تحتاج ما تَحْتاج أمها"[٥٧]، حيث يجب على الأب أن يبدأ بتجهيز فراش خاص لابنته بعيدًا عن سرير الزوجية منذ أن تبدأ الكلام وتقول (ددَّ)، فهذا المثل يوضح ضرورة انتباه الأب لأن الفتاة الصغيرة بدأت تكبر ولا يصح أن تظل بجانب الأب والأم في سرير واحد، لأنها يمكن أن تقول ما يحدث بين الزوجين دون أن تقصد، وعندما تكبر هذه الفتاة أكثر وتعتمد على نفسها (إن رفعت القدح لفمها) دون أن تحتاج المعونة الدائمة، فلابد أن يدرك الأب أن هذه البنت لها احتياجات خاصة نسائية مثل والدتها، وأن عليه أن يوفرها لها دون تردد.

وعلى الرغم من كراهية بعض العرب لكثرة إنجاب الفتيات منذ العصر الجاهلي، والذي ربما يكون مستمرًا حتى الآن عند بعض الفئات، إلا أن الأندلسيين احتفوا بكثرة إنجاب الفتيات، فـ "مَنْ كَثُر ابْنَاتُ، كَانوا الكِلابُ أُخْتَانُ"[٥٨] والملاحظ أن الزجالي قد أورد بعد هذا المثل بيتين شعر لمنصور الفقيه[٥٩] وبيتين للمعري[٦٠]، كأنه يريد التأكيد على فكرة هذا المثل ويوافق عليها بشدة، حيث ربط المثل بين كثرة إنجاب البنات اللائي يخدمن آبائهن بإخلاص شديد، وربط المبدع الشعبي بين البنات والكلاب ليظهر كم الوفاء الكبير والتضحية النادرة التي على استعداد أن تقوم بها الفتاة من أجل والدها.

ولم تغب صورة زوجة الأب في تعاملها مع أطفال زوجها عن رؤية المبدع الشعبي الأندلسي، فلقد "رَجَعَتْ الرميدَ، أحَن من الوَليدَ"[٦١]، وهنا مفارقة صارخة فالرميد هي زوجة الأب وهي أحن على الأولاد من والدهم، وهذا المثل يخالف الصورة السائدة في المجتمع عن قسوة زوجة الأم وعدم تفضيلها لأبناء زوجها، وهذا يشي إلى حقيقة مَفادُهَا وجود قدر لا بأس به من زوجات الأب التي كانت تتعامل برحمة مع هؤلاء الأطفال الذين فقدوا والدتهم بالطلاق أو بالوفاة.

٨-١صورة الطفل اليتيم

كان للطفل اليتيم مكانة كريمة في الشريعة الإسلامية، حيث نزل في حقه ما يربو عن عشرين آية تتحدث عن ضرورة الإحسان إلى اليتيم والحفاظ على مصالحه من الضياع، وذلك حتى يشتد عوده فيتحمل مسئولية نفسه وإدارة مصالحه بعد ذلك، ومن هذه الآيات الكريمة {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاء اللّهُ لأعْنَتَكُمْ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[٦٢]، وكذلك {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا}[٦٣]، وإذا تتبعنا الطفل اليتيم الأندلسي نجد أن للحروب المستمرة والفتن الكثيرة التي عاشتها الأندلس تأثيرًا واضحًا على المجتمع الأندلسي وخاصة الأطفال، الذين عانوا من اليتم وآثاره المدمرة عليهم.

ولقد جاءت الأمثال الشعبية الأندلسية لتصور هذه الحالة الصعبة التي يعيش فيها اليتيم، فـ " عَدُو اليتيم مَنْ يَرَبِيه، وعَدُو القط من يفْلِيهْ "[٦٤]، فهذا المثل يوضح لنا كيف كان الطفل اليتيم ضعيفًا ولا يستطيع أن يدافع عن حقه فى مواجهة الوصي الظالم، الذي يستغل سلطته التي منحها لها الأب قبل أن يتوفى فيبدد الأمانة، ويمنع الصغير من الاستفادة من أمواله فيتحول إلى (عدو) له على حد المثل الشعبي، ومن هنا كان الشقاء علامة مميزة للطفل اليتيم، وهذا ما يتضح من خلال " يَتِيمْ يسْعَادَ، مِنْ أيْ عَادَ" [٦٥]، فالمثل هنا به استفهام استنكاري عن كون اليتيم سعيدًا، حيث لا يوجد لديه ما يؤدي به إلى السعادة، وبسبب هذه الحياة المليئة بالعسرات المتتابعة نجد أن المثل الشعبي " لِسْ يُعَلّم اليَتِيم البُكا "[٦٦] يُقال ليعبر عن حالة البكاء المستمرة التي يعاني منها الطفل اليتيم بسبب عدم قدرته على تحمل بعض الناس التي تستغل ضعفه وقلة حيلته، فيكون البكاء ملازمًا له في جميع أحواله.

وتقسو الظروف أكثر على اليتيم أحيانًا، وذلك حينما تعطيه شيئًا يفرحه فتأخذ منه شيئًا آخر يسبب له الألم النفسي الشديد، ويجسد المثل التالي هذه المعاناة حين " طلبت اليتيمة الخلف، جاه السليل والضعف"[٦٧]، فالطفل الذي تمنته هذه اليتيمة لكي يشعرها بالفرح والسعادة والراحة بعد الشقاء، جاء مريضًا وضعيفًا فأدخل على قلبها الهم والحزن وحمل المسئولية الثقيلة بطفل له مشاكل صحية عديدة، فاليتيمة هنا قد تكالبت عليها الظروف الصعبة فأصبح الحزن جزءًا أساسيًا في حياتها.

وعندما يتعسر شخص ما في سداد دينه ويطلب من صاحب الدين أن يتمهل عليه في طلب الدين، فإن صاحب الدين يقول له إن " اليتيم أوْلى بالعُسْرة" [٦٨]، فصاحب الدين يُمكن أن يتحمل عسرة اليتيم لأن حالته المادية ليست على ما يرام دائمًا، لأنه يكون مسئولًا عن أسرته وهو مازال طفلًا صغيرًا في كثير من الأحيان، أما الشخص العادي فلن يتحمل صاحب الدين عسرته، وهنا وإن كان صاحب الدين يظهر الوجه الإيجابي للتعامل مع الطفل اليتيم، نجد أن المثل الشعبي وقد أظهر لنا أيضًا حقيقة وجود هؤلاء الذين لا يتحرجون ولا يخافون الله في اليتيم، بل يتعمدون إيذاءهم لتحقيق مصالحهم الخالصة دون الالتفات لمصالح اليتيم، فمثل "

يَتَعلمْ الحجَامْ، فِي أَعْنَاق اليُتامْ"[٦٩] يكشف لنا عن هؤلاء المنتفعين، فالحجام يأخذ الدم الفاسد من الجسد ليطهره ويستعيد حيويته ولكنه لا يقترب من العنق، ولكن الحجام المبتدئ لا يعلم ويريد أن يتعلم صنعة الحجامة فيحضر طفلًا يتيمًا ليس له سند يدافع عنه فإذا إذا تسبب له هذا الحجام المبتدئ بضرر، والذي بالضرورة سيحدث لأنه اختار العنق فلن يعاقب ولن يحدث له شيء، بيد أن الحجام هنا ليس هو الوحيد المتهم بهذه التصرفات التي تكشف عن الانتهازية وحب الذات، وإنما هو رمز سلبي لجل المنتفعين من اليتامى.

٩-١الأطفال العبيد

وكما كان لأبناء الأحرار أمثال تبين علاقتهم بالمجتمع كذلك كان هناك مثل يكشف العلاقة بين أبناء العبيد والمجتمع، فلقد كان حمل الأمة أو أن تكون الأمة معها طفل إشكالية كبيرة في ذلك الوقت، وذلك لأن "غُلاَم الخِدم، لا يُبَاع ولا يُرْمَى" [٧٠] فاعتبر ذلك الموقف عيبًا فلا تُباع الأمة ولا تُشترى حتى تضع حملها ويصل ابنها إلى سن البلوغ[٧١]، وذلك لأن الصغير لا يستطيع أن يفارق أمه كما أنه لا منفعة فيه لصغره، ومن هنا نهى فقهاء المذهب المالكي أن يشترى صبي مملوك من أهل الذمة دون أمه، فكانت تباع الأم وطفلها في عقد واحد أو صفقة واحدة[٧٢]، ولا تساير الدراسة المحقق حين اعتبر المثل "يقال فيمن لا يصلح لشيء كالخادم حينما يعجز ويهرم يحتفظ به مراعاة لسابق خدمته وهذا التوجيه أشبه بالصواب"[٧٣]، فالمثل لا يتعلق بكبار السن بل يناقش قضية الأطفال العبيد كما أوضحت الدراسة.

١٠-١الأمثال الشاذة الخاصة بالطفل

ازدهر التغزل بالغلمان بالأندلس بسبب عدة بواعث، منها الباعث الفني حيث كان بعض الشعراء يتغزلون في الغلمان لإثبات قدرتهم الفنية على محاكاة كبار الشعراء القدامى الذين سبقوهم في القول في هذا الغرض، أو ليثبتوا المقدرة الفنية على قول الشعر في كل الأغراض الشعرية دون استثناء، ومن هذه البواعث أيضًا الباعث النفسي حيث لجأ البعض إلى وصف الجمال في كل صوره، مثل وصف الطبيعة الخلابة والمرأة الجميلة والغلمان الوسيمة، ولم يتحرج في قول ذلك الغزل الفقهاء وكبار رجال الدين مثل الإمام بن حزم[٧٤]، ولا يمكن أن نغفل

طبيعة الحياة في الأندلس من حيث انتشار مجالس الخمر والغناء واللهو، وكثرة الجواري والغلمان بسبب الحروب المستمرة هناك فاستتبع ذلك استغراق بعض الشعراء في هذا الغزل ولكن بباعث نفسي مرضي مرده التعلق بالغلمان ولقد تورط في هذا كثير من شخصيات الأندلسية التي لها مكانة مرموقة في المجتمع من أمراء وقضاة ورجال دين[٧٥]، وكان الباعث الاجتماعي له حضوره حين تَقبل المجتمع الأندلسي هذا اللون من الغزل في الأساس، حيث بلغ من شيوعه وتقبله أن لجأ بعض الشعراء إلى مقدمات غزل بالمذكر في قصيدة مدح للخليفة[٧٦].

ومن هنا يُمكن أن يفهم لماذا انتشرت الأمثال الشعبية الخاصة بالشذوذ الجنسي مع الغلمان، بيد أن الدراسة ستستبعد الباعث الفني وتستقر فقط على الباعث الاجتماعي والنفسي المرضي، حيث تشير معظم هذه الأمثال لفعل اللواط الذي يبدو أنه كان منتشرًا جراء التهتك الأخلاقي في المجتمع الأندلسي، مِثل "صَبِي مِنْ عَسلْ، ادخل صَبعَك فاسْطُ والعَق"[٧٧]، ومثل "صبي بسكين، أحلى من التين"[٧٨]، ومثل "قمْ نِكْ ذَا الأمرَدْ! قَال: ولد مَن هُو؟"[٧٩]، ومثل "صِبْيَان المَدَارِجْ، الأصبَع فاسْطُ وَهُو يصِيح أبَيْضي " [٨٠].

وأحيانًا يكون هذا الفعل الشائن أهون عند بعض الغلمان من تعرضهم للظلم في عملهم، فـ "صِبْيان المِينَة، يرضَوا بالنَيك ولا يَرضَوْا بالغَبينَ"[٨١]، فالصبيان الذين يعملون في الميناء لا يرضون بالظلم ولكن يرضون بممارسة الشذوذ الجنسي، وربما يكون هذا المثل من قبيل المبالغة بعض الشيء إلا أن هذا لا ينفي وجوده كحقيقة فعلية في المجتمع.

وكان من المستغرب ربط المبدع الشعبي بين هذا الفعل الشائن وبين التعليم، مثل " تفخيذ الطلبة" [٨٢] الذي يدل هو الآخر على وجود هذه الممارسات غير السوية من قبل القائمين على التعليم في الأندلس، واستغلالهم للأطفال الذين يدرسون تحت أيديهم.

٢- ١-أمثال شعبية ذات علاقة غير مباشرة بالطفل

هناك العديد من الأمثال الشعبية الأندلسية التي تضمنت ألفاظًا تتعلق بالأطفال ولكنها تناقش مواقف وقضايا أخرى لا تتعلق بهم بصورة مباشرة، فهذه الأمثال تسهم في توضيح رؤية المجتمع المترسخة في اللاوعي تجاه للطفل الأندلسي.

فمثل "لَوْ لَمْ تَدْخُل بَيتِي، مَا كان تَرَى حوايج بِنْتِي"[٨٣]، يتعلق بخيانة الثقة من الصديق، حيث وثق صاحب الدار في صديقه/ شخص مقرب وسمح له بدخول بيته، ولكنه خان الأمانة وذهب إلى غرفة فتاة صاحب الدار ورأى أشياءها الخاصة بها وهذه لا تغتفر، ويمكن أن نستشف من هذا المثل أن الفتاة في بيت أبيها مثل الجوهرة المحفوظة التي لا يحق لأحد أن يطلع عليها أو يطلع على أي شيء يخصها، وتخالف الدراسة الدكتور المحقق لكتاب الزجالي حين ربط بين هذا المثل وبين المثل المغربي" شوف بيته، وخطب بنتو" فالمثل الأندلسي يتحدث عن خيانة الثقة بينما المثل المغربي يتحدث عن ضرورة التأني قبل خطبة الفتاة حتى يرى الخاطب بيت المخطوبة من الداخل ويرى معاملة هذه الأسرة لبعضها البعض في بيتهم.

أما مثل "أوَّلْ وَلَد نَعمْلوه أقْرِعْ" [٨٤] فهو يتعلق بالبداية السيئة للشيء، حين يكون الإنسان متحمسًا لجني ثمار ما فعله ولكنه لا يجد ما انتظره فيصاب بخيبة الأمل، وهذا المثل يشي بصورة الطفل البكر الذي يعتبر الفرحة الأولى الكبرى للزوجين عندما يُولد دون شعر فهذا يمثل خيبة أمل لهم، ومن خلال المثل يتبدى لنا أن المعتاد أن يولد الطفل وسيمًا بشعر كثيف.

وكان التساؤل حاضرًا في "الرجل قطيمْ، والمَرا عقِيم، فمَنْ أين يجي الولد ؟"[٨٥]، فهذا المثل به استفهام استنكاري عن عدم الأخذ بالأسباب للوصول إلى الهدف المنشود، فالرجل مخنث لا ينجب، وزوجته عقيمة لا تنجب هي الأخرى، فكيف ينجبون طفلًا؟!، ويمكن من خلال التدقيق فيما وراء النص من إشارات أن نلمح فكرة أن الولد في الحقيقة هو النتيجة المرجوة التي يتمناها أي زوجين بغض النظر عن قدرتهما على الإنجاب.

وكان للطبقية حضور واضح في المثل الشعبي، حيث " ثلاثة مِنْ النَّاس ما يَلْبَاسُ غِفَار، ولا يوقد قنديل في منارا، ولا يولد في طَنْجَهَار: صَيَّاد بصنارة، وَمَيَّار بِحمارة، وجَنَّان بِخَطَّارة" [٨٦]، فهناك ثلاثة من المهن وضيعة –من وجهة نظر المبدع الشعبي–لا تشارك الكبراء في بعض الأمور، فأصحاب مهن صيد السمك بالصنارة والكاري الذي يحمل الطعام من مكان لآخر والبستناني الذي يقوم ببعض الأعمال غير المحببة، لا يرتدون البُرنس وهو زي الفقهاء وكِبار

الناس، ولا يقومون بإضاءة قنديل في المنارة ولعلها منارة كان الناس يتناوبون على إضاءتها، كما أنه عند ولادة أطفالهم لا يقيمون لهم احتفالية يقدم فيها الحليب والحلوى للناس، ويُفهم من هذا المثل بطريق غير مباشر أن الأسرة الأندلسية كانت تقيم للطفل بعد ولادته حفلة كبيرة احتفالًا به وليس من المحبب إلغائها.

وجاءت صورة المحتال مرتبطة بحلوى الأطفال في " حنَين أبي زُرَيْق: يَمْدَغْ الحَلْوَ للصِبْيَانْ"(٨٧)، حيث يقال هذا المثل لمن يستغل الفقراء والأغبياء والساعين إلى الثراء السريع دون جهد، فهو يُمنيهم حتى يسلمونه ما يملكون فيستفيد منه حق الاستفادة ثم يعيد ما أخذه إليهم دون أن يتم تحقيق فائدة حقيقة لهم، وجاء هذا المثل على هيئة قصة لأبي زريق الذي يبدو أنه كان يستغل سذاجة الاطفال ويأخذ الحلوى منهم بمعاملته اللطيفة وحنيته الواضحة وذلك لكي يحصل على السكريات الموجودة في الحلوى ويعيدها إليهم خالية منه، ومن هنا ندرك وجود تصنيع حلوى للأطفال في الأندلس، وكذلك وجود من يحتال على الأطفال بسبب برائتهم وسذاجتهم.

كان التفسخ الأخلاقي موجودًا بالأندلس في عصور عدة، حيث توافرت أماكن مخصصة لممارسة الرذيلة(٨٨)، ووجود عدة مدن مشهورة بالمحظورات الدينية مثل مدينة أبده(٨٩) ومدينة شرشر والتي ذكرها الزجالي فقال "قِحَاب شَرْشَر، اطلب وَحْدَ تَجِد عَشر"(٩٠)، بيد أن معظم الأندلسين لم يتقبلوا هذا الوضع المخالف لدينهم وعاداتهم وتقاليدهم، فكان صوت المبدع الشعبي في الأمثال مندداً بفعل النساء التي تعمل بالدعارة وتنشر الرذيلة بين الناس، ف" قَحْبَ بولَدْ، لِس تَسع فِي بَلد" (٩١)، فالمثل هنا استفهام استنكاري عن سبب وجود هذه المرأة سيئة السمعة في البلدة ومعها ابنها الذي يثبت عليها إقامة علاقات غير شرعية، فهذا الطفل فضحها بطريقة غير مباشرة لأنها غير متزوجة، لذا جاء العقاب بالطرد من البلدة، بيد أن العقاب لا يتوقف عند المرأة بل يمتد ليُعاقب كذلك الطفل الذي ليس له أي ذنب، حين يكون" جَوابْ أَوْلاد الزِنَا السُكُوت"(٩٢)، فالفعل المشين الذي ارتكبته المرأة يطغى على علاقة هذا الطفل بالمجتمع، فينبذ حين يُحدد أولا بأنه من أولاد الزنا، ووقتها لا يجب أن يرد عليه أحد

أو يتعامل معه أحد، فهو نكرة لا قيمة له في هذا المجتمع الذي حرمه كافة حقوقه المادية والمعنوية.

الخاتمة

قامت هذه الدراسة باستقصاء الأمثال الخاصة بالطفل في كتاب أمثال العوام للزجالي القرطبي، وكان لتنوعها وتباينها في آن الفضل في استكشاف صورة الطفل الأندلسي في مجتمعه في القرن السابع الهجري وما قبله، فتناولت الدراسة الأمثال التي لها علاقة مباشرة بالطفل، بداية من فترة الحمل ثم الولادة وصفاته الخِلقية والخُلقية والتربية وعلاقته بالأسرة وبالمجتمع، وكذلك صورة الطفل اليتيم والعبد والأمثال الشاذة، كما تطرقت الدراسة إلى الأمثال التي ليس لها علاقة مباشرة بالطفل ولكن يمكن من خلالها تبين المسكوت عنه عن الطفل الأندلسي وكشف بعض الجوانب التي لم تتضح في الأمثال التي لها علاقة مباشرة بالطفل، ولقد توصلت الدراسة لعدة نتائج هي:

أولًا: اهتمام المجتمع الأنلسي بالطفل على اعتباره أنه عضو فعال في المجتمع، وبرز هذا الاهتمام من خلال إفراده العديد من الأمثال التي تناولت حسن اختيار الآباء لتأثيره المباشر على الأبناء فيما بعد، كما تناولت الأمثال الطفل الأندلسي قبل حتى أن يولد من خلال توجيه النصح للأم الحامل.

ثانيًا: توقفت الأمثال الشعبية أمام شكل الطفل وربطها بوالديه، سواء اتفق ذلك الشكل معهما كما يحدث في غالب الأحيان أم حتى في اختلافه عنهما في الشكل، وهو ما يعرف في العلم الوارثة الحديث بالطفرات الوراثية.

ثالثًا: وعي المبدع الشعبي الأندلسي بالفروق السلوكية بين الولد والبنت، فأفرد لكل جنس منهما مجموعة من الأمثال الخاصة والتي تشي بمواصفاته، وكان من الملاحظ عدم وجود أي صدى لفكرة تفضيل البنت على الولد في كتاب الزجالي.

رابعًا: أدرك المبدع الشعبي ضرورة تهذيب الطفل وتربيته وتعليمه حتى يصح الاعتماد عليه بعد أن يكبر، كما أبدت لنا الامثال الشعبية بعض طرق التربية المعمول بها في ذلك العصر، كما

حثت الأمثال على بر الوالدين، وإظهار الاحترام لهما والتشديد على عدم التقليل منهما تحت أي مسمى.

خامسًا: كشفت الأمثال الشعبية عن الوضع الاقتصادي المتردي في الأندلس وتأثيره الشديد على الأسرة بصفة عامة والأبناء بصفة خاصة حيث انتابهم الجوع والعوز، كما أظهرت لنا الأمثال العديد من الأمراض الاجتماعية الموجودة في الأندلس، بسبب هذه الظروف الاقتصادية المتدهورة والتي تمس الطفل بصورة مباشرة مثل الاعتماد عليهم في العمل الشاق وتعرضهم للأذى مع تكاسل الأب وجلوسه في المنزل.

سادسًا: جاءت صورة الطفل اليتيم قاتمة في المجتمع الأندلسي حيث كشفت الأمثال عن معاناته بسبب ضعفه وقلة حيلته فيستغله بعض أفراد المجتمع السيئين لتحقيق أغراضهم دون الاهتمام بمصالحه، وأحيانًا يكونون أقرب الناس إليه والذين يفترض بهم رعايته، لذا هو دائم الحزن والبكاء لا يعرف للسعادة طعمًا، وعندما يتحصل على ما يريده فإنه يفقد شيئًا آخر بالمقابل، كأنه قد كتب عليه الشقاء طوال حياته.

سابعًا: مَثَّلَ الطفل العبد إشكالية في المجتمع الأندلسي كشفت عنها الأمثال، حيث لا يُباع ولا يُشترى ويظل مع أمه لا يفارقها حتى سن البلوغ والإدراك.

ثامنًا: كرست الأمثال للحقيقة الموجودة في المجتمع الأندلسي عن الشذوذ الجنسي للأطفال، وعن الاعتداءات الجنسية التي تحدث للطلاب من معلميهم.

تاسعًا: كان للأمثال الشعبية التي ليس لها علاقة مباشرة بالطفل الأندلسي دور في تبين صورته منها ما يظهر قيمة الفتاة لكونها عرض أبيها الذي لا يرضي أن يمس، ومنها ما يتعلق بشكل الطفل المولود دون شعر، كما تلمح الدراسة من خلال هذه الأمثال التأكيد على قيمة الإنجاب كمسألة فطرية بطريقة غير مباشرة، وكذلك أظهرت هذه الأمثال وجود احتفالات بالمواليد الجدد يتم فيها تقديم الألبان والحلوى للأهل والأقارب، وكان للمحتال الذي يستغل سذاجة الأطفال مساحة في تلك الأمثال أيضًا، كذلك كان مجهولو النسب شريحة طالما تعامل معها المجتمع بنظرة دونية، وعانت من الإهمال والاستبعاد رغم أنهم لا ذنب لهم، فحرم من حقوقه.

الهوامش

(١) الفارابي: ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٧٤.

(٢) الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٧م، ١/٢٣٠.

(٣) أحمد أمين: فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٦٠.

(٤) عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٨٨م، ص١١.

(٥) نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨١م، ص١٤٤.

(٦) أحمد تيمور باشا: الأمثال العامية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٤م، ص٣١.

(٧) نفسه، ص٣٥٨.

(٨) نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص١٤٥.

(9)Philips,Ph & Willey,G.R, Method and theory in American Archaeology: An Operational Basis for Culture, Historical Integration, American Anthropologist, Vol.55, No.5, 1953, p.622.

(١٠) ابن مِسكويه: تهذيب الأخلاق، دراسة وتحقيق عماد الهلالي، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠١١م، ص٢٩٠.

(١١) ابن سينا: رسالة ضمن مجموع في السياسة، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الأولى، الإسكندرية، د.ت، ص١٠١.

(١٢) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١م،١/٧٤٣.

(١٣) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، تحقيق مُحَمَّد بن شريفة، وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية، المغرب، ١٩٧٥م، ١/١٢١.

(١٤) سورة الكهف، آية ٤٦.

(١٥) سورة الفرقان، آية ٧٤.

(١٦) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٢/٤٥٨. (١٩٩١)

(١٧) نفسه، ٢/٣٣٩ .(١٤٧٤)

(١٨)عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ، ٢/٨٩. (٣٨٨)

(١٩) نفسه، ٢/٨٥. (٣٧٢)

(٢٠) نفسه، ٢/٢٣٢. (١٠٢٣)

(٢١) نفسه، ٢/٧٩. (٣٣٨)

(٢٢) انظر عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٤٣/٢ (١٦٦)، ومن المفيد توضيح أن الدكتور المحقق بنشريفة ذكر المثل بهذه الألفاظ (أب زفت، وأب لفت، وابن طاب عجين) ولكن الدراسة تميل إلى وجود تصحيف في هذا المثل، حيث استبدل (الأم) وذكر (الأب) مرتين، لأن الأسرة تتكون من أب وأم وابن.

(٢٣) نفسه، ٤٣/٢.

(٢٤) نفسه، ٢٧٣/٢. (١١٧٧)

(٢٥) نفسه، ٢٦٠/٢. (١١١٩)

(٢٦)ابن حزم: المُحَلَّى، تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر، دار التراث، القاهرة، د.ت، ٢٤٦/٤.

(٢٧) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ١٤٥/٢. (٦٨٤)

(٢٨) نفسه، ٩٩/٢. (٤٤١)

(٢٩) نفسه، ٢٩٣/٢. (١٧١٨)

(٣٠)عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ١١٨/٢. (٥٢٢)

(٣١) نفسه، ٣٧٨/٢. (١٦٦١)

(٣٢) أحمد تيمور باشا: الأمثال العامية، ص١٣٤.

(٣٣) أحمد تيمور باشا: الأمثال العامية، ص١٣٤.

(٣٤) حسين نشوان: المرأة في المثل الشعبي في الأردن وفلسطين دراسة سوسيولوجية لواقع المرأة ومكانتها، مكتبة الأسرة الأردنية، د.ط، عمان، ٢٠١٢م، ص١٠٥.

(٣٥) هاني صبحي العمد: صورة المرأة في الأمثال الشعبية الأردنية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٣٣، العدد ٢، ٢٠٠٠م، ص٢٧٢.

(٣٦) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٣٦/٢-٣٧. (١٣٤)

(٣٧) نفسه، ٢٩٣/٢. (١٧١٤)

(٣٨) الغزالي: إحياء علوم الدين، دار ابن حزم للطباعة، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٩٥٥.

(٣٩) ابن خلدون: المقدمة، ٢٨٣/١، وانظر كذلك موسى بن ميمون، فصول الآباء تليها الفصول الثمانية، ترجمها من العبرية الأب إيميل عقيقي، منشورات جامعة روح القدس، جونية، لبنان، ٢٠٠٨م، ص٨٨.

(٤٠) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٣٢١/٢. (١٣٨٩)

(٤١) مسلم: صحيح مسلم، تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩١م، ١٢٥٥/٣. (١٦٣١)

(٤٢) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٣٥/٢. (١٣٠)

(٤٣) خلافي زاهية: الطفولة في المجتمع الأندلسي ما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين(ق١٠-١٢م)، رسالة دكتوراة، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، الجزائر، ٢٠١٩م، ص٢٢٢.

(٤٤) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ١٦٤/٢. (٧٤٠)

(٤٥) سورة الإسراء، آية ٢٣.

(٤٦) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٣٧٦/٢. (١٦٤٩)

(٤٧) أحمد بن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الكتب السلفية، ١٣٧٩هـ، ٤١٧/١٠. (٥٦٢٨)

(٤٨) انظر ابن الوليد الشبلي: التقسيم والتبيين في حكم أموال المستغرقين من الظلمة والغاصبين، تحقيق جمعة محمود الرزيقي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ١٩٩٣م.

(٤٩) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٣٢١/٢. (١٣٩٠)

(٥٠) السرقسطي: المقامات اللزومية، تحقيق حسن الوراكلي، جدارا للكتاب العالمي وعالم الكتب الحديث، الطبعة الثانية، الأردن، ٢٠٠٦م، ص٢١٥.

(٥١) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٨٢/٢ (٣٥٣)

(٥٢) سورة الإسراء، آية ٣١.

(٥٣) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٨٣/٢. (٣٦١)،

(٥٤) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٩٧م، ٥٩٦/٢.

(٥٥) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٦٣/٢. (٢٥٨)

(٥٦) نفسه، ٦٣/٢.

(٥٧) نفسه، ٩/٢-١٠. (٢٧)

(٥٨) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٣٣٤/٢. (١٤٤٦)

(٥٩) الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وأكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٣م، ٢٣٨/١٤، قال عنه الذهبي إنه "منصور بن إسماعيل العلامة، فقيه مصر، أبو الحسن التميمي الشافعي الضرير الشاعر....كان متصرفًا في كل علم، شاعرًا مجودًا، لم يكن في زمانه مثله، توفي سنة ست وثلاثمائة".

(٦٠) نفسه، ١٨/ ٢٣-٣٥، قال عنه الذهبي إنه " أبو العلاء، الشيخ العلامة، شيخ الآداب .. المعري الأعمى، اللغوي، الشاعر، صاحب التصانيف السائرة، والمتهم في نحلته، ولد في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة..ومات في أوائل شهر ربيع الأول من سنة تسع وأربعين وأربعمائة.

(٦١) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٢٢١/٢-٢٢٢. (٩٧٧)

(٦٢) سورة البقرة، آية ٢٢٠.

(٦٣) سورة النساء، آية ١٠.

(٦٤) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٣٧٤/٢. (١٦٣٩)

(٦٥) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٤٧٢/٢. (٢٠٦٣)

(٦٦) نفسه، ٢٧٢/٢. (١١٧٣)

(٦٧) نفسه، ٢٤٧/٢. (١٠٦٧)

(٦٨) نفسه، ٤٢/٢. (١٦١)

(٦٩) نفسه، ٤٧٧/٢. (٢٠٩٩)

(٧٠) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٢٩٦/٢ (١٧٣٤)

(٧١) عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، بورسعيد، ١٩٩٧م، ص ٣٣٣-٣٣٤.

(٧٢) الونشريشي: عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق، دراسة وتحقيق حمزة أبو فارس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٠م، ص ١٣٢-١٣٣.

(٧٣) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٢٩٦/٢

(٧٤) انظر المقَّري: نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦م، ٨٢./٢

(٧٥) حكمة الأوسي: الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٦م، ص١٨٩.

(٧٦) أحمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، الطبعة السادسة، مصر، ١٩٧١م، ص٢١٥.

(٧٧) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٣٦٧/٢. (١٦١٦)

(٧٨) نفسه، ٣٦٦/٢ (١٦١٣)

(٧٩) نفسه، ٤١٠/٢. (١٧٨٦)

(٨٠) نفسه، ٣٦٣/٢. (١٦٠٠)

(٨١) نفسه، ٣٦٧/٢ (١٦١٥)

(٨٢) نفسه، ١٦٢/٢. (٧٣٠)

(٨٣) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٢٨١/٢. (١٢١٥)

(٨٤) نفسه، ٨٧/٢. (٣٨٠)

(٨٥) نفسه، ٨٨/٢. (٣٨٤)

(٨٦) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ١٧٠/٢. (٧٥٦)

(٨٧) نفسه، ١٨٣/٢. (٨٠٦)

(٨٨) ابن عبدون التجيبي: ثلاث رسائل أندلسية في الحسيبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٥١.

(٨٩) انظر المقري: نفح الطيب،٢١٧/٣ و١٨٤/٤.

(٩٠) عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ٤١٩/٢. (١٨٢٤)

(٩١) نفسه، ٤١٠/٢. (١٧٩٠)

(٩٢)عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، ١٧٩/٢. (٧٩١)

المراجع

*القرآن الكريم

*عبيد الله الزجالي القرطبي: أمثال العوام في الأندلس، تحقيق مُحَمَّد بن شريفة، وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية، المغرب، ١٩٧٥م.

- أحمد أمين: فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٥م.
- أحمد تيمور باشا: الأمثال العامية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٤م.
- أحمد بن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الكتب السلفية، ١٣٧٩هـ.
- أحمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، الطبعة السادسة، مصر، ١٩٧١م.
- ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٩٧م.
- جون لويس بوكهارت: العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية في عهد مُحَمَّد علي، ترجمة الدكتور إبراهيم أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م.
- ابن حزم: المُحَلَّى، تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر، دار التراث، القاهرة، د.ت.
- حكمة الأوسي: الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٦م.
- حسين نشوان: المرأة في المثل الشعبي في الأردن وفلسطين دراسة سوسيولوجية لواقع المرأة ومكانتها، مكتبة الأسرة الأردنية، د.ط، عمان، ٢٠١٢م.
- خلافي زاهية: الطفولة في المجتمع الأندلسي ما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين(ق١٠-١٢م)، رسالة دكتوراة، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، الجزائر، ٢٠١٩م.

- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١م.
- الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وأكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٣م.
- الزبيدي: لحن العوام، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٧م.
- السرقسطي: المقامات اللزومية، تحقيق حسن الوراكلي، جدارا للكتاب العالمي وعالم الكتب الحديث، الطبعة الثانية، الأردن، ٢٠٠٦م.
- ابن سينا: رسالة ضمن مجموع في السياسة، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الأولى، الإسكندرية، د.ت.
- عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٨٨م.
- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، بورسعيد، ١٩٩٧م.
- ابن عبدون التجيبي: ثلاث رسائل أندلسية في الحسيبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- الغزالي: إحياء علوم الدين، دار ابن حزم للطباعة، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٥م.
- الفارابي: ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

- ابن مِسكويه: تهذيب الأخلاق، دراسة وتحقيق عماد الهلالي، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠١١م.
- مسلم: صحيح مسلم، تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩١م.
- المقَّري: نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، د.ط، بيروت، ١٩٨٦م.
- موسى بن ميمون، فصول الآباء تليها الفصول الثمانية، ترجمها من العبرية الأب إيميل عقيقي، منشورات جامعة روح القدس، جونية، لبنان، ٢٠٠٨م.
- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨١م.
- هاني صبحي العمد: صورة المرأة في الأمثال الشعبية الأردنية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٣٣، العدد ٢، ٢٠٠٠م.
- ابن الوليد الشبلي: التقسيم والتبيين في حكم أموال المستغرقين من الظلمة والغاصبين، تحقيق جمعة محمود الرزيقي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ١٩٩٣م.
- الونشريشي: عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق، دراسة وتحقيق حمزة أبو فارس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٠م.
- Malinowski, B., The sexual Life of Savages in North Western Malanesia, Vol.2, London, 1929.
- Philips,Ph & Willey,G.R, Method and theory in American Archaeology: An Operational Basis for Culture, Historical Integration, American Anthropologist, Vol.55, No.5, 1953 .
- Van Dijk, Teun A. & Kintsch, Walter. “Toward a model of text comprehension and production”. Psychological Review, Vol. 85, No.5, 1978 .